

الفصل الثالث

السمعيات عند القاسمي

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

الأول: الملائكة.

الثاني: الوزن والميزان.

الثالث: الرؤية.

obeikandi.com

المبحث الأول

ويشتمل على:

- ١- تمهيد في تعريف الملائكة.
- ٢- رأي القاسمي في الملائكة.
- ٣- آراء أشهر الفرق فيها.
- ٤- تعقيب.

obeikandi.com

تمهيد

الملائكة:

لغة يقول ابن منظور:

الملك: واحد الملائكة وإنما هو تخفيف الملاك واجتمعوا على حذف همزة وهو مفعول من الأول، قال الكسائي: أصله مأك بتقديم الهمزة من الأول وهي الرسالة، ثم قلبت وقدمت اللام فقليل ملاك... ثم تركت همزته لكثرة الاستعمال فقليل ملك فلما جمعه ردوها إليه فقالوا ملائكة وملائك. والملك يطلق على المفرد وعلى الجمع.

فهي تدور على معنى الرسالة^(١). لأن الملك يبلغ عن الله تعالى:

وعرفها علماء الكلام بأنها أجسام لطيفة نورانية أعطيت قدرة على التشكيل بأشكال مختلفة في أشكال حسنة شأنها الطاعة دائماً لا يصفون بذكورة ولا أنوثة^(٢).

وقالت النصارى: «إنها الأنفس الناطقة المفارقة لأبدانها الصافية الخيرة، والخبثة عندهم شياطين».

وقال عبدة الأوثان: «إنها هذه الكواكب، السعيد منها ملائكة الرحمة، والخبثة ملائكة العذاب».

والفلاسفة يقولون: «إنها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة،

(١) لسان العرب المجلد السادس ص ٤٢٦٩، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزبادي تحقيق عبد العليم الطحاوي ط ١ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ج ٤ ص ٥٢٤، القاموس القويم للقرآن الكريم للأستاذ عبد الفتاح إبراهيم ج ٢ ص ٢٣٥.

(٢) ينظر في ذلك شرح المقاصد ج ٢ ص ١٤٦، وتحفة المريد ص ١٥٥، وفتح الباري ج ٦ ص ٣٥٣.

وصرح بعضهم بأنها العقول العشرة والنفوس الفلكية التي تحرك الأفلاك»^(١).
وقد أبطل ابن حجر - رحمه الله - هذه الأقوال الأخير لعدم ورود شيء من الأدلة السمعية بشأنها ومال إلى ما ذهب إليه المتكلمون. وبمثل ما قاله ابن حجر^(٢) قال صاحب كتاب القول السديد^(٣).

٢- رأي القاسمي في الملائكة

١- يرى القاسمي أن الإيمان بالملائكة ركن من أركان العقيدة الإسلامية لا يتم إيمان العبد إلا إذا آمن بها وفي ذلك يقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ فِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]... ولكن البر من آمن بالله. أي: إيمان من آمن بالله - الذي دعت إليه آية الوحانية. فأثبت له صفات الكمال، ونزله عن سمات النقصان. «واليوم الآخر» الذي كذب به المشركون فاختل نظامهم ببغي بعضهم على بعض «والملائكة» أي وآمن بهم وبأنهم عباد مكرمون متوسطون بينه تعالى وبين رسله بإلقاء الوحي وإنزال الكتب ففيه - أي الإيمان بهم وبما قبلهم - قهر النفس للإذعان لمن هو من

(١) ينظر في ذلك روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لأبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي ج١ ص ٢١٨، ٢١٩ نشر دار الفكر بيروت سنة ١٣٩٨، سنة ١٩٩٨ م. * وقد ذكر هذه الأقوال صاحب القول السديد ج٣، ص ١٤٤.

(٢) فتح الباري ج٦ ص ٣٥٣.

(٣) القول السديد ج٣ ص ١٤٥.

جنسها - والإيمان بغيب من ليس من جنسها، ليكون في ذلك ما ينزع^(١) النفس عن هواها^(٢) وقرر أيضًا وجوب الإيمان بهم في تفسيره لقوله تعالى ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيَّتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ غُفْرَانِكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥] ^(٣).

٢- ويرى القاسمي أن الكفر بالملائكة خروج عن الهدى وبعده عن الطريق المستقيم، ودعوة إلى الإيمان بالشياطين، وكل ذلك ضلال مبين وفي ذلك يقول عند تفسيره لقوله تعالى ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنزِلَ مِنْ قَبْلُ ۚ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَكِيَّتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦] ومن يكفر بالله وملائكته.. أي خرج عن الهدى وبعد عن القصد كل البعد، أما الكفر بالله فظاهر، وأما بالملائكة فلاهم المقربون إليه، وأما بالكتب فلاها الهادية إليه. وأما بالرسول فلاهم الداعون إليه وأما باليوم الآخر فلا في نفع إقامته وضرر تركه. فإذا أنكر لزم إنكار النفع الحقيقي والضرر الحقيقي. فهو الضلال البعيد، ثم الكفر بالملائكة كفر بمظاهر باطنة وبالكتب كفر بمظاهر صفة كلامه. وبالرسول كفر بآتم مظاهره وباليوم الآخر كفر بدوام ربوبيته وعدله. ثم الكفر بالملائكة يدعوا إلى الإيمان بالشياطين وكل ذلك ضلال بعيد^(٤).

(١) في الأصل (يزع) ولعلها ينزع.

(٢) محاسن التأويل جـ ٣ ص ٣٨٧-٣٨٨.

(٣) محاسن التأويل جـ ٣ ص ٧٢٨، ٧٢٩.

(٤) محاسن التأويل جـ ٥ ص ١٦٠٧.

٣- أما عن صفات الملائكة فيرى القاسمي بأن مادة خلقهم من النور^(١). واستدل على ذلك بما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من نار وخلق آدم مما وصف لكم»^(٢) هذا ولم يتعرض القاسمي لبيان حقيقة النور لأنه غيب عنا بخلاف د/ البهي، إذ يرى بأن الملائكة مخلوقون من نار صافية مشعة وهم من الجن^(٣)، وقوله هذا مناقض للحديث السابق القائل بالتفريق.

٤- ويرى القاسمي أنهم لا يوصفون بالذكورة، والأنوثة، وأن من يصفهم بالأنوثة فهو كافر واستدل على ذلك بقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُومُونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْأُنثَى﴾ [النجم: ٢٧]^(٤) ويرى كذلك بأن مسكنهم في السماء^(٥).

٥- ويرى القاسمي أنهم لا يأكلون ولا يشربون واستدل على ذلك بقوله تعالى ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود: ٧٠] فتفسيره «أوجس» أي أحس «منهم خيفة» لظنه أنهم بشر أرادوا به مكروهًا. والضيف إذا همم بفتك لا يأكل من الطعام، في عاداتهم «قالوا» أي لما علموا منه الخوف بإخباره لهم، كما في قوله تعالى ﴿قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾ [الأنعام: ٥٢-٥٣] كما قيل هنا «لا تخف» أي إنا لا نأكل لأننا ملائكة^(٦).

(١) محاسن التأويل جـ ٢ ص ١٠٣، ١٠٤، جـ ٧ ص ٢٦٢٢.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الزهد باب في أحاديث متفرقة جـ ١٨ ص ١٢٣.

(٣) ينظر في ذلك تفسير سورة الجن د/ محمد البهي ص ٨-١١ نشر دار الفكر ط ٢ سنة ١٩٧٤، ١٣٩٤.

(٤) محاسن التأويل جـ ١٥ ص ٥٥٧٨، جـ ١٤ ص ٥٢٦٢.

(٥) محاسن التأويل جـ ٤ ص ٩٦٣، جـ ١٠ ص ٤٠٠٠، جـ ١٤ ص ٥١٩٣.

(٦) محاسن التأويل جـ ٩ ص ٣٤٦٥.

٦- ويرى القاسمي بأنهم ينزهون الله تعالى دائماً ولا يملّون من عبادته وهم مقربون إلى الله لأن هذه العبادة هي قرّة أعينهم واستدل على ذلك بقوله تعالى ﴿ فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴾ [فصلت: ٣٨] فعند تفسيره لهذه الآية يقول ﴿ فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا ﴾ أي عن عبادته كبراً وعتوّاً ﴿ فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ أي الملائكة يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يستمّون أي لا يملّون عن عبادته لأنها قرّة أعينهم وحياة أنفسهم^(١).

٧- ويرى القاسمي بأن الملائكة متفاوتون في الخلق والمقدار واستدل على تفاوتهم في الخلق بقوله تعالى ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِةِ رُسُلًا أُولَى أَجْنَحَةٍ مَّتَنَّى وَتِلْكَ وَرُبَعٌ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [فاطر: ١] فعند تفسيره يقول «... أي ذوي أجنحة متعددة متفاوتة في العدد، حسب تفاوت ما لهم من المراتب، ينزلون بها ويعرجون أو يسرعون بها وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ رأى جبريل عليه السلام ليلة أسرى به، وله ستمائة جناح»^(٢)، ولهذا قال سبحانه ﴿ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ﴾ أي يزيد في خلق الأجنحة وغيره ما يشاء مما تقتضيه حكمته^(٣). واستدل على تفاوتهم في المقدار بحديث رواه البخاري عن معاذ بن رفاع، عن رافع الزرقي، عن أبيه، وكان ممن شهد بدرًا قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال ما تعدّون أهل بدر فيكم؟ قال: من أفضل المسلمون - أو كلمة نحوها - قال وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة^(٤).

(١) محاسن التأويل ج٤ ص ٥٢١٠.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري كتاب؛ بدء الخلق باب «إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء» ج٦ ص ٣٦١.

(٣) محاسن التأويل ج٤ ص ٤٩٧٢.

(٤) فتح الباري كتاب المغازي باب ١١ شهود الملائكة بدر ج٧ ص ٣٦٢، ص ٣٦٣.

فاستدل القاسمي بهذا الحديث بأن أفضل الملائكة من شهد معركة بدر^(١).

٨- ويرى القاسمي أن الملائكة مأمورة بالطاعة دائماً وعدم عصيان الله في أمر أبداً وهم خائفون منه تعالى في أثناء تسبيحهم واستدل على ذلك بقوله تعالى ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٦٠﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٦١﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٨]^(٢).

وقوله تعالى ﴿يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْأَ أَنْفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦]^(٣).

وقوله تعالى ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي آلِهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ [الرعد: ١٣]^(٤) وهو بذلك موافق لقول الجمهور القائل بعصمة الملائكة^(٥).

٩- ويرى القاسمي بأن للملائكة قدرات خارقة عجيبة واستدل على ذلك بما حدث لقوم لوط عليه السلام من قلب الملائكة لمدينتهم بكل ما فيها وإمطار الحجارة عليهم^(٦). واستدل أيضاً بأن منهم من يحمل العرش - على

(١) محاسن التأويل ج ٨ ص ٢٩٥٧.

(٢) ينظر تفسير هذه الآيات في محاسن التأويل ج ١١ ص ٤٢٦٤، ٤٢٦٥ «إذ يقول في أثناء تفسيره بعد ذكر الآية السابقة فلا يقولون شيئاً حتى يقول الله تعالى، أو يأمرهم به كما هو شأن العبيد المؤدبين، ولا يعصونه في أمر إشارة إلى مراعاتهم في أدب العبودية في الأفعال أيضاً، كالأقوال».

(٣) ينظر تفسيرها في محاسن التأويل ج ١٦ ص ٥٨٦٧.

(٤) ينظر تفسيرها في محاسن التأويل ج ٩ ص ٣٦٦٠.

(٥) شرح المقاصد ج ٢ ص ١٤٦، ١٤٧.

(٦) محاسن التأويل ج ٩ ص ٣٤٧٤.

عظمته - وفي ذلك دليل على قدرتهم الخارقة^(١).

١٠- ويرى القاسمي بأن الملائكة مخلوقون قبل البشر والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ اِنِّيْ جَاعِلٌ فِى الْاَرْضِ خَلِيْفَةً ۖ قَالُوْۤا اَتَجْعَلُ فِيْهَا مَنْ يُّفْسِدُ فِيْهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۗ قَالَ اِنِّىْۤ اَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ﴾ [البقرة: ٣٠]^(٢).

١١- ويرى القاسمي بأن الملائكة يجوز في حقهم أن يتشبهوا بالآدمي ولا يخرجهم هذا التشبيه عن كونهم ملائكة واستدل على ذلك بقوله تعالى ﴿وَإِذْ تَسْتَغِيْثُوْنَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ اَنِّىْ مُعِدُّكُمْ بِالْفِى مِنَ الْمَلٰٓئِكَةِ مُرْسِلٌ ۖ﴾ [الأنفال: ٩]^(٣) وقوله تعالى في قصة نزول جبريل عليه السلام على مريم ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُوْنِهِمْ حِجَابًا ۚ فَأَرْسَلْنَا اِلَيْهَا رُوْحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۗ﴾ [مريم: ١٧]^(٤).

١٢- ويرى القاسمي بأن الله تعالى خلق الملائكة على هيئة حسنة جميلة قوية واستدل على ذلك بقوله تعالى ﴿عَلَّمَهُ شَدِيْدُ الْقُوٰى ۖ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوٰى ۖ﴾ [النجم: ٥-٦]^(٥).

١٣- ويرى القاسمي بأن الملائكة أصناف فمنهم من ينزل بالوحي من عند الله إلى رسله الكرام وهو جبريل عليه السلام واستدل على ذلك بقول تعالى ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيْلُ رَبِّ الْعٰلَمِيْنَ ۝ نَزَلَ بِهَ الرُّوْحُ الْاَمِيْنُ ۝ عَلٰى قَلْبِكَ لِتَكُوْنَ مِنْ

(١) محاسن التأويل ج ١٦ ص ٥٩١٤، ٥٩١٥.

(٢) ينظر محاسن التأويل ج ٢ ص ٩٤، ٩٥.

(٣) ينظر محاسن التأويل ج ٨ ص ٢٩٥٧.

(٤) ينظر محاسن التأويل ج ١١ ص ٤١٣١.

(٥) ينظر محاسن التأويل ج ١٥ ص ٥٥٥٥، ٥٥٥٦.

الْمُنْذِرِينَ ﴿١٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿[الشعراء: ١٩٢-١٩٥]﴾^(١).

ومنهم ملك الموت الموكل بقبض أرواح العباد وللملك أعواناً من الملائكة واستدل على ذلك بقوله تعالى ﴿قُلْ يَتَوَفَّنُكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١]^(٢). وقوله تعالى ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ ءَايَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣]^(٣) ومنهم من ينفخ في الصور بأمر الله تعالى وهو سيدنا إسرافيل عليه السلام والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]^(٤).

ومنهم من يحمل عرش الرحمن وحوهم ملائكة يستغفرون للمؤمنين. والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧]^(٥).

ومنهم الحافين بعرش الرحمن واستدل على ذلك بقوله تعالى ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ

(١) ينظر تفسير هذه الآيات محاسن التأويل ج ١٣ ص ٤٦٤٥.

(٢) ينظر تفسيرها في محاسن التأويل ج ١٣ ص ٤٨١٢، ٤٨١٣.

(٣) ينظر تفسيرها في محاسن التأويل ج ٦ ص ٢٤١٦، ٢٤١٧.

(٤) ينظر محاسن التأويل ج ١٤ ص ٥١٥٠.

(٥) ينظر محاسن التأويل ج ١٤ ص ٥١٥٧.

وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿[الزمر: ٧٥]﴾^(١).

ومنهم ملائكة الجنة الذين يدخلون على أهلها ويلقون عليهم السلام واستدل على ذلك بقوله تعالى ﴿جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَبِعَمِّ عَقَبَى الْآدَارِ ﴿[الرعد: ٢٣-٢٤]﴾^(٢).

ومنهم ملائكة النار المكلفون بتعذيب أهلها واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقَى وَلَا تُنْقَى ﴿٢٨﴾ لَوْ أَحَاطَ لِلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ ﴿[المدرثر: ٢٧-٣١]﴾^(٣).

ومنهم من يسجلون على بني آدم أعمالهم واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿[ق: ١٨]﴾^(٤).

ومنهم من يسوق بني آدم للحساب والعرض على رب الأرباب واستدل على ذلك بقوله تعالى ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿[ق: ٢١]﴾^(٥).

ومنهم من يثبت المؤمنين في الحرب وينصرونهم على أعدائهم واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا

(١) ينظر محاسن التأويل ج ١٤ ص ٥١٥٣.

(٢) محاسن التأويل ج ٩ ص ٣٦٧٤.

(٣) ينظر محاسن التأويل ج ١٦ ص ٥٩٧٩، ٥٩٨٠.

(٤) ينظر محاسن التأويل ج ١٥ ص ٥٥٠٠.

(٥) ينظر محاسن التأويل ج ١٥ ص ٥٥٠١.

سَأَلَقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿[الأنفال: ١٢]﴾^(١).

ومنهم من يشهد صلاة الفجر مع المؤمنين واستدل على ذلك بقوله ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]^(٢).

ومنهم من يختص ببشارة المؤمنين الموحدين، ومنهم من يختص بتأنيب العصاة المذنبين واستدل على ذلك بقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠]^(٣) وقوله تعالى ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَقَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبِرَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الأنفال: ٥٠]^(٤) إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الواردة بصفاتهم والمتحدثة عن أعمالهم^(٥).

٣- رأي القاسمي في المفاضلة بين الملائكة والبشر:

يرى القاسمي -رحمه الله- أن صالحى البشر أفضل من الملائكة واستدل على ذلك بآيات من الكتاب العزيز منها.

أ- قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

(١) ينظر محاسن التأويل ج ٨ ص ٢٩٦١.

(٢) ينظر محاسن التأويل ج ١٠ ص ٣٩٥٩.

(٣) ينظر محاسن التأويل ج ١٤ ص ٥٢٠٢.

(٤) محاسن التأويل ج ٨ ص ٣٠١٥.

(٥) لزيادة معرفة صفاتهم كما تحدث عنها القرآن ينظر في ذلك عالم الجن والملائكة ت عبد الرازق نوفل ص ١٢٦-١٤٦ ط مؤسسة دار الشعب.

ووجه الدلالة في الآية كما يرى القاسمي «أن الغرض من إخبار الملائكة بجعل آدم خليفة في الأرض هو تعظيم شأن المَجْعُول، وإظهار فضله، بأن بشر بوجود سكان ملكوته، ونوه بذكره في الملائكة الأعلى قبل إيجاده، ولقبه بالخليفة»^(١) والخليفة يفضل على من ليس بخليفة ولولا أن الخلافة درجة عالية وأعلى من درجة الملائكة لما طلبوها لأنفسهم وغبطوا صاحبها^(٢).

ب- قوله تعالى ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١] ووجه الدلالة في الآية كما يرى القاسمي أن الله - سبحانه وتعالى - بين لهم في هذه الآية شرف آدم وفضله على الملائكة بما حباه الله من علم لم يعلموه وأمره أن يعلمهم إياه والعالم أفضل من المتعلم^(٣).

ج- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤] وجه الدلالة في الآية كما يراه القاسمي: أن الله - سبحانه وتعالى - أمر الملائكة بالسجود لآدم وما ذلك إلا لفضله وشرفه عليهم، ولم يثبت أن آدم عليه السلام سجد للملائكة بل إنه لم يؤمر بالسجود إلا لرب العالمين^(٤).

د- قوله تعالى ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢] وجه الدلالة في الآية كما يراه القاسمي من وجوه إن الله خلق آدم بيده، هذا باعتبار الفاعل كما أنبأ عنه قوله تعالى ﴿مَا

(١) محاسن التأويل للقاسمي جـ ٢ ص ٩٥.

(٢) عالم الملائكة الأبرار في ضوء القرآن والسنة ت د/ عمر سليمان الأشقر ص ٧٦ نشر دار الكتب الإسلامي ط الطوبجي التجارية بتصرف.

(٣) محاسن التأويل للقاسمي جـ ٢ ص ٩٩ بتصرف.

(٤) محاسن التأويل جـ ٢ ص ١٠١، ١٠٢ بتصرف.

مَنَّكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ ﴿ [ص: ٧٥] وباعتبار الصورة كما نبه عليه بقوله تعالى ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾ [الحجر: ٢٩] وباعتبار الغاية وهو ملاك الأمر، ولذلك أمر الملائكة بالسجود له لما يَبَيِّن لهم أنه أعلم منهم بما يدور عليه أمر الخلافة في الأرض، وأن له خواص ليست لغيره، وبالجملة فالشيء كما يشرف بهادته، يشرف بفاعله وغايته وصورته، والثلاثة في آدم عليه السلام..^(١)

هـ- قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٣] قال القاسمي عند تفسيره لهذه الآية يستدل بها على تفضيل الأنبياء على الملائكة لدخولهم في العالمين^(٢).

٤- آراء أشهر الفرق في المفاضلة بين الملائكة والبشر:

بعد أن عرضت لرؤية القاسمي للملائكة ورأيه في تفضيل صالحى البشر على الملائكة واستدلالة بالآيات القرآنية. نتعرض لآراء أشهر الفرق في هذه المسألة لنرى إلى أي مذهب من المذاهب ينتمي القاسمي.

١- ذهب المحدثون والأشاعرة والشيعة:

إلى القول بتفضيل الأنبياء على الملائكة، واستدلوا على ذلك بأدلة كثيرة، نكتفي منها بدليل واحد، لأن باقي الأدلة هي نفس ما استدلل به القاسمي على مذهبه. وهذا الدليل هو: أن طاعة البشر أشق من طاعة الملك لأنها لا تتحقق له إلا بعد المجاهدة والتغلب على الشيطان، وعلى جميع الصوارف الدنيوية، بخلاف طاعة الملك، فهو مجبول عليها، ولا شك في أن العبادة مع المجاهدة أفضل فيكون صاحبها أكثر ثواباً^(٣).

(١) محاسن التأويل جـ ٧ ص ٢٦٢١، ٢٦٢٢ بتصرف.

(٢) محاسن التأويل جـ ٤ ص ٨٣٠.

(٣) شرح المقاصد جـ ٢ ص ١٤٨ بتصرف، والقول السديد جـ ٣ ص ١٤٩، ولوامع الأنوار البهية جـ ٢ ص ٣٩٨ بتصرف.

٢- ذهب الحكماء والمعتزلة والقاضي أبو بكر الباقلاني وأبو عبد الله الحلي من أهل السنة

إلى القول بتفضيل الملائكة العلوية على الأنبياء إلا محمد ﷺ أما الملائكة السفلية الذين يسكنون الأرض فالأنبياء أفضل منهم^(١) واستدلوا على ما ذهبوا إليه بأدلة نقلية، وأدلة عقلية، منها:

١- كثرة الآيات القرآنية الدالة على وصفهم بالقرب والشرف والتواضع والخضوع لله تعالى وفي كل ذلك إشارة إلى أن غيرهم ليس كذلك^(٢).

٢- قوله تعالى ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٧٢] وجه الدلالة من الآية إن مثل هذا السياق يقتضي تفضيل الملائكة المقربين على عيسى، لأن البلاغة تقتضي الترتيب من الأدنى إلى الأعلى.

٣- اطراد تقديم الملائكة على الأنبياء في الذكر إذا اجتمعا، فإنه يدل على أن المتقدم أفضل من المتأخر.

٤- أن أرواح الملائكة مبرأة عن الرذائل، ومطلعة على أسرار الغيب، وقادرة على الأفعال العجيبة، ومن كان هذا حاله فهو أفضل ممن لم يكن معه هذه الأوصاف، إلى غير ذلك من الأدلة الكثيرة التي استدل بها أصحاب هذا المذهب وكلها مردود عليها^(٣).

(١) المرجعان السابقان نفس الصفحة، والمختار من شرح البيجوري على الجوهرية ص ١٥٥.

(٢) بتصرف من شرح المقاصد ج ٢ ص ١٤٨.

(٣) ينظر في ذلك القول السديد ج ٣ ص ١٥٠، ١٥١، وشرح المقاصد ج ٢ ص ١٤٩، ومحاسن التأويل ج ٢ ص ١٧٦، ١٧٧، ولوامع الأنوار البهية ج ٢ ص ٤٠٦، ٤٠٩.

تعقيب:

ظهر لي من خلال عرض هذا المبحث ما يلي:

١- موافقة القاسمي لجمهور الأشاعرة وأهل الحديث والشيعة في مسألة المفاضلة، واستدلالة جميع أدلتهم.

٢- القول بتفضيل ليس على وجه التنقيص أو الحمية والعصبية للجنس كما يرى صاحب شرح الطحاوية^(١).

٣- القول بأن المفاضلة بين الأنبياء والملائكة من بدع علم الكلام ولم يتكلم فيها الصدر الأول من الأمة ولا من بعدهم من أعلام الأئمة - كما ذكره تاج الدين الفزاري^(٢) - قول مردود عليه لأن بعض صحابة رسول الله ﷺ تكلموا في شيء من ذلك والدليل على ذلك ما رواه الحاكم في مستدركه وصححه هو والذهبي «أن عبد الله بن سلام قال: ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من محمد ﷺ ف قيل له: ولا جبريل ولا ميكائيل؟ فقال للسائل: أتدري ما جبريل وميكائيل؟ إنما جبريل وميكائيل خلق مسخر كالشمس والقمر، وما خلق الله خلقاً أكرم عليه من محمد ﷺ»^(٣) هذا وقد أورد بن كثير نصاً عن عمر بن عبد العزيز ونصاً آخر عن عبد الله بن عمر وكلاهما يفيد تفضيل صالح بني آدم على الملائكة^(٤).

٤- أرى بأن ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في هذه المسألة أولى بالصواب نظراً لجمعه بين الأدلة وهو «أن صالحى البشر أفضل

(١) شرح العقيدة الطحاوية ج٢ ص٤١٢.

(٢) هو الإمام العلامة العالم شيخ الشافعين في زمانه عبد الرحمن بن إبراهيم بن ضياء بن سباع الفزاري تاج الدين المعروف بالفركاح، المصري الأصل، الدمشقي الإقامة والشهرة والوفاة توفي سنة ٦٩٠. ينظر شرح العقيدة الطحاوية ج٢ ص٤١٣.

(٣) عالم الملائكة الأبرار د/ عمر سليمان الأشقر ص٤٧ نشر دار الكتاب الإسلامي.

(٤) البداية والنهاية لابن كثير ج١ ص٦٤، ٦٥.

باعتبار كمال النهاية، وذلك إنما يكون إذا دخلوا الجنة ونالوا الزلفى، وسكنوا الدرجات العلا، وحيّاهم الرحمن وخصهم بمزيد قربه، وتجلى لهم يستمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم، وقامت الملائكة في خدمتهم بإذن ربهم. والملائكة أفضل باعتبار البداية، فإن الملائكة الآن في الرفيق الأعلى منزهون عما يلابسه بنو آدم مستغرقون في عبادة الرب، ولا ريب أن هذه الأحوال الآن أكمل من أحوال البشر» قال ابن القيم بعد عرض قول ابن تيمية «وبهذا التفضيل تبين سر التفضيل، وتتفق أدلة الفريقين، ويصالح كل منهم على حقه»^(١).

٥- معرفة الإنسان بوجود الملائكة وإحصائهم لكل ما يفعل من أعظم الأسباب التي تحفزه على عمل الطاعات وتبعده عن المعاصي.

(١) لوامع الأنوار البهية ج٢ ص٣٩٩.

obeikandi.com

المبحث الثاني

الوزن والميزان

ويشتمل على:

- ١- تعريف الميزان
- ٢- رؤية القاسمي للميزان
- ٣- آراء أشهر الفرق في الميزان
- ٤- أعمال الكفار ووزنها
- ٥- الحكمة من الوزن
- ٦- تعقيب.

obeikandi.com

الميزان

الميزان من الأمور التي وردت إلينا عن طريق السماع من الرسول ﷺ وهو يمثل مرحلة أو موقفًا من مواقف الآخرة، وذلك بعد إعادة الأجسام، وأخذ كل إنسان كتابه بيمينه أو بشماله، وقبل الخوض في الحديث عنه نتعرض لتعريفه من ناحية اللغة.

الميزان في اللغة:

من وزن الشيء يَزِنُهُ وَزْنًا وَزَنَةً: قَدَّرَهُ بما يعادله في الثقل، والميزان: الآلة التي توزن بها الأشياء، ويطلق مجازًا على العدل وعلى الشريعة، قال تعالى ﴿ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ ﴾ [الأعراف: ٨٥] فالميزان في الآية هو الميزان الحقيقي المعروف، وقوله تعالى ﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ﴾ [الشورى: ١٧] أي العدل أو الشريعة^(١) والموازين جمع ميزان وأصله موازن فقلبت الواو ياءً لكسرة ما قبلها^(٢).

رؤية القاسمي للميزان:

يرى القاسمي بأن الميزان يطلق ويراد به حقيقته المعروفة من كونه ميزانًا له لسان وكفتان، وقد وَضَحَ ذلك عقب تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ﴾ [الأنبياء: ٤٧] إذ يقول «أي نقيم الموازين العادلة الحقيقية التي توزن بها صحائف الأعمال»^(٣) والقاسمي بتفسيره

(١) المعجم الوسيط ج٢ ص١٠٧١، ١٠٧٢ ط مجمع اللغة العربية ط ٣ سنة ١٤٠٥ سنة ١٩٨٥ م، القاموس القويم للقرآن الكريم ت الأستاذ/ إبراهيم أحمد عبد الفتاح ج٢ ص٣٣٤، ٣٣٥ ط مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٤٠٤، لسان العرب لابن منظور، ج٦ ص٤٨٢٨، ٤٨٢٩.

(٢) فتح الباري لابن حجر ج١٣ ص٥٤٧.

(٣) محاسن التأويل ج١١ ص٤٢٧٧.

هنا يوافق رأي كثير من المفسرين في حقيقة الميزان من أنه ميزان حقيقي له كفتان ولسان، وساقان، يقول صاحب المقاصد في ذلك: «وذهب كثير من المفسرين إلى أنه ميزان له كفتان ولسان وساقان عملاً بالحقيقة لإمكانها»^(١) وهذا هو ما أجمع عليه أهل السنة^(٢).

ويرى القاسمي بأن الإيمان والتصديق بالميزان واجب لثبوته بالكتاب والسنة^(٣).

أدلة القاسمي على الميزان:

استدل القاسمي -رحمه الله- على ثبوت الوزن والميزان بما ورد في كتاب الله وفي سنة نبيه ﷺ فقال: وقد ورد ذكر الوزن والميزان في مواضع من القرآن منها:

١- قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ [الأنبياء: ٤٧] وقد سبق قوله عند تفسيره هذه الآية.

٢- قوله تعالى ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٨] فعند تفسيره هذه الآية يقول: «أي وزن الأعمال والتميز بين راجحها وحفيفها، يوم يسأل الله الأمم ورسلمهم، ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ أي حسناته في الميزان»^(٤) إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي أوردها في ذكر الميزان.

ب- من السنة استدل القاسمي -رحمه الله- بأحاديث كثيرة تفيد ثبوت الميزان فذكر منها ما يلي:

أ- ما رواه الترمذي بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة. فقال: «أنا فاعل» يعني إن شاء الله - قلت يا رسول الله فأين

(١) شرح المقاصد ج٢ ص١٦٤.

(٢) فتح الباري لابن حجر ج١٣ ص٥٤٨.

(٣) محاسن التأويل ج٧ ص٢٦١ بتصرف.

(٤) محاسن التأويل ج٧ ص٢٦١.

أطلبك؟ قال: «اطلبي أول ما تطلبي على الصراط» قلت فإن لم ألقك على الصراط؟ قال: «فاطلبي عند الميزان» قلت فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: «فاطلبي عند الخوض فإني لا أخطئ هذه الثلاث مواطن»^(١).

ب- ما أخرجه الإمام أحمد والترمذي وصححه، وابن ماجه عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ «يصاح برجل من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلاً، كل سجل منها مدّ البصر، فيقول: أنتكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب! فيقول: أفلك عذر أو حسنة؟ فيهاب الرجل، فيقول لا يا رب فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم عليك اليوم. فيخرج له بطاقة فيها (اشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله) فيقول: يا رب! ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تظلم. فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة»^(٢).

ج- ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن زرّ بن حبیش عن ابن مسعود أنه كان يجتني سواكاً من الأراك. وكان دقيق الساقين. فجعلت الريح تكفؤه، فضحك القوم منه. فقال رسول الله ﷺ «مم تضحكون؟» قالوا: يا نبي الله، من دقة ساقيه. فقال: «والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد»^(٣) إلى غير ذلك

(1) صحيح سنن الترمذي لمحمد ناصر الدين رقم الحديث ١٩٨١ نشر مكتبة التربية العربي لدول الخليج ط ٧.

(2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده طبعة الحلبي ج ٢ ص ٢١٣ رقم ٦٩٩٤ عن عبد الله بن عمر، وأخرجه الترمذي في ٣٨ - كتاب الإيمان، ١٧ باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله ط الحلبي، وأخرجه ابن ماجه في: ٣٧ - كتاب الزهد، ٣٥ - باب ما يرجي من رحمة الله يوم القيامة حديث رقم ٤٣٠٠ ط الحلبي.

(3) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج ١ ص ٤٢٠ رقم ٣٩٩١ ط الحلبي.

من الأحاديث التي ذكرها القاسمي عند تفسيره لآيات الميزان.

رأي القاسمي في الموزون:

عندما تعرض القاسمي -رحمه الله- لتفسير قوله تعالى ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٩] نجده يذكر ثلاثة آراء في حقيقة الموزون.

الأول:

الموزون هو الأعمال وإن كانت أعراضاً فإن الله يقلبها يوم القيامة أجساماً ونسب القاسمي هذا القول إلى ابن عباس رضي الله عنه واستدل على ذلك بالآتي:

أ- ما جاء في صحيح الإمام مسلم عن أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرأوا الزهراوين - البقرة وسورة آل عمران. فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيابتان^(١) أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما. اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة»^(٢).

ب- ما رواه ابن ماجه عن بُريدة قال: قال رسول الله ﷺ «يجيء القرآن يوم القيامة كالرجل الشاحب، فيقول: أنا الذي أسهرت ليلك وأظمأت نهارك»^(٣) إلى غير ذلك من الأحاديث التي ذكرها لهذا الرأي ثم عقب القاسمي بعد ذكر هذه الأدلة بكلام منقول عن أبي السعود من تفسيره ونسي أن ينسبه إليه^(٤).

(١) قال أهل اللغة الغمامة والغياية كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه من سحابة وغبرة وغيرهما والفرقان أي قطيعان وجماعتان.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ط المطبعة المصرية ومكتبتها ج٦ ص٨٩، ٩٠.

(٣) أخرجه ابن ماجه في ٣٣ كتاب الأدب، ٥٢ باب ثواب القرآن حديث رقم ٣٧٨١ الحلبي.

(٤) محاسن التأويل ج٧ ص٢٦١٣، ١٦١٤ يقارن ما قاله في هذه الصفحة بما قاله أبو

الثاني:

قيل بأن الموزون هو صحائف الأعمال، واستدل على ذلك بحديث البطاقة السابق ذكره^(١).

الثالث:

قيل بأن الموزون صاحب العمل، واستدل على ذلك بما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلی الله علیه وسلم قال: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة» وقال: اقرءوا: فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً^(٢). واستدل كذلك بالحديث السابق الوارد في مناقب سيدنا عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه.

وبعد أن ذكر القاسمي - رحمه الله - هذه الآراء الثلاثة بأدلتها نجده يميل إلى الجمع بين هذه الآثار بأن يكون ذلك كله صحيحاً. فتارة توزن الأعمال، وتارة يوزن محلها، وتارة يوزن فاعلها^(٣).

السعود ج ٣ ص ٢١٢، ٢١٣.

(١) هذا القول نسبته البيجوري في شرحه على الجوهرية إلى جمهور المفسرين ص ٢١٥.

(٢) فتح الباري كتاب التفسير باب أولئك الذين كفروا ببرهم ولقائه ج ٨ ص ٢٧٩.

(٣) محاسن التأويل ج ٧ ص ٢٦١ بتصرف.

آراء أشهر الفرق في الميزان

١- ذهب جمهور العلماء:

إلى أن الميزان حق وصدق ما دام قد ورد ذكره في الكتاب الكريم وأخبر به الصادق المصدوق، ويجب الإيمان به وحجتهم في ذلك أنه لا يترتب على فرض وقوعه محال. وفي ذلك يقول صاحب المقاصد في أول المبحث السابع في السميعات «سائر ما ورد في الكتاب والسنة من المحاسبة وأهوالها والصراط والميزان والحوض وتفصيل أهوال الجنة والنار أمور ممكنة أخبر بها الصادق فوجب التصديق»^(١) واستدل على الميزان بقوله تعالى ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ [الأنبياء: ٤٧].

٢- المعتزلة:

عندما تعرض صاحب المقاصد لبيان رأي المعتزلة في الميزان قال: «وأنكره بعض المعتزلة ذهاباً إلى أن الأعمال أعراض ولا يمكن وزنها فكيف إذا زالت وتلاشت، بل المراد العدل الثابت في كل شيء»^(٢) وبالغ صاحب المواقف فقال «وأما الميزان فأنكره المعتزلة عن آخرهم»^(٣) وبالرجوع إلى كتب المعتزلة نجد أن القاضي عبد الجبار قد أثبت الوزن والميزان على معناه الحقيقي المعروف لدينا، واستدل على ذلك بوروده في الكتاب والسنة، بل إنه أنكر على من يقول بأن معناه العدل وفي ذلك يقول: «... أما وضع الموازين، فقد صرح الله تعالى في محكم كتابه، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]... إلى غير ذلك من الآيات التي تتضمن هذا المعنى، ولم يرد الله تعالى بالميزان إلا المعقول منه،

(١) شرح المقاصد ج ٢ ص ١٦٣.

(٢) شرح المقاصد ج ٢ ص ١٦٤، ومحصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص ٢٣٥.

(٣) شرح المواقف للجرجاني، ط دار الطباعة العامة بدون ج ٢ ص ٤٥٣.

المتعارف عليه فيما بيننا دون العدل وغيره على ما يقوله بعض الناس؛ لأن الميزان وإن ورد بمعنى العدل في قوله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ ﴾ [الحديد: ٢٥] فذلك على طريق التوسع والمجاز، وكلام الله تعالى مهما أمكن حملة على الحقيقة لا يجوز أن يعدل به عنه إلى المجاز» ثم يبيِّن العلة في ذلك فقال: «لو كان المراد به العدل، لكان لا يثبت للثقل والخفة فيه معنى، فدل على أن المراد به الميزان المعروف الذي يشمل على ما تشمل عليه الموازين فيما بيننا»^(١) وبمثل هذا القول ذهب الزمخشري في كشافه إلى أن المراد بوضع الموازين هي الموازين الحقيقية التي توزن بها الأعمال^(٢).

٣- الجهمية والضرارية والوزنية:

ذهبت هذه الفرق إلى إنكار الخوض والصراط والميزان وسؤال الملوك في القبر وزعموا ألا حساب ولا ميزان^(٣). هذا وقد ضعَّف القاسمي - رحمه الله - قول من يقول بأن المراد من الميزان هو العدل وردّ عليه فقال: «إن المشهور من مذهب أهل السنة أنه حقيقة بمعناه المعروف، وجمهور الصدر الأول اتفقوا على الأخذ بهذه الظواهر من غير تأويل... والأصل في الإطلاق الحقيقة، ولا يعدل عنها إلى المجاز إذا تعذرت ولا تعذر ههنا»^(٤).

(١) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار تعليق أحمد بن الحسين بن أبي هاشم تحقيق

د/ عبد الكريم عثمان ص ٧٣٥ نشر مكتبة وهبة القاهرة ط ٣ سنة ١٤١٦ هـ ١٩٩٦ م.

(٢) الكشاف - الزمخشري ج ٢ ص ٥٧٤. بتصرف.

(٣) أصول الدين للبغداد ص ٢٤٥، ٢٤٦.

(٤) محاسن التأويل للقاسمي ج ٧ ص ٢٦١٧.

آراء أشهر الفرق في حقيقة الموزون

١- ذهب جمهور المفسرين وأهل السنة:

إلى أن الموزون هو الصحيفة التي كتبت فيها أعمال العباد من خير وشر واستدلوا على ذلك بحديث البطاقة السابق ذكره^(١).

٢- ذهب الكرامية إلى أن الأعمال:

توزن أجساماً ويخلقها الله ﷻ بعدد الأعمال^(٢) ويبيّن ذلك البيجوري في شرحه للجوهرة فقال: «وذهب بعضهم إلى أن الموزون أعيان الأعمال، فتصور الأعمال الصالحة بصورة حسنة نورانية ثم تطرح في كفة النور وهي اليمنى المعدة للحسنات فتثقل بفضل الله - سبحانه وتعالى -، وتصور الأعمال السيئة بصورة قبيحة ظلمانية ثم تطرح في كفة الظلمة وهي الشمال المعدة للسيئات فتخف وهذا في المؤمن، وأما الكافر فتخف حسناته وتثقل سيئاته يعدل الله سبحانه وتعالى»^(٣) وقد نسب القاسمي هذا الرأي إلى ابن عباس رضي الله عنه^(٤) وبه قال الغزالي إذ يقول: «وإذا قيل لك إن الأعمال توزن، علمت أن الأعمال عرض لا يوزن فلا بد من تأويل»^(٥).

(١) شرح الخريدة البهية تأليف أبي البركات الشيخ أحمد الدرديري العدوي مع حاشية على الشرح للعلامة أبي السعود الشيخ محمد بن صالح السباعي، تحقيق ومراجعة السيد علي ابن السيد عبد الرحمن آل هاشم ص ٣٣٧ ط دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع سنة ١٤١٤هـ، تحفة المريد ص ٢١٥.

(٢) أصول الدين للبغداد ص ٢٤٦.

(٣) تحفة المريد للبيجوري ص ٢١٥.

(٤) محاسن التأويل ج ٧ ص ٢٦١٣ وينظر في ذلك القول السديد ج ٣ ص ١٧٤.

(٥) قانون التأويل تصنيف أبي حامد الغزالي تحقيق محمد زاهد الكوثري ص ٤٩ هدية مجانية مع مجلة الأزهر عدد ربيع الآخر سنة ١٤٠٦هـ.

٣- قيل بأن الموزون هو الشخص نفسه واستدل القائلون بذلك بحديث ابن مسعود السابق ذكره^(١).

هل توزن أعمال الكفار؟

الظاهر هو حبوط أعمال الكفرة وضياعها عليهم لقوله تعالى: ﴿وَقَدْ مَنَّا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنَّ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣] ولقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ مَّحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾ [النور: ٣٩] والله - سبحانه وتعالى - لا يظلم الناس شيئاً - المؤمن منهم والكافر - يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠] وحسنات الكفار يطعمون بها في الدنيا لقول الرسول ﷺ «إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة يعطي بها في الدنيا ويجزي بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل لله في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزي بها»^(٢).

والميزان كما هو معلوم مداره الأعمال الصالحة، والكافر إذا كان له عمل طيب فقد كوفئ عليه في الدنيا كما ثبت في الحديث الصحيح السابق فليس له حينئذ في الآخرة شيء وفي ذلك يقول القاسمي عندما تعرض لتفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِمْ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ [الكهف: ١٠٥] أي فنزديهم ولا نجعل لهم مقداراً واعتباراً، لأن مداره الأعمال الصالحة وقد حبطت بالمرءة^(٣) وقد قال العلماء في معنى هذه الآية: «أنه لا ثواب لهم وأعمالهم مقابلة بالعذاب فلا حسنة لهم توزن في موازين يوم القيامة ومن لا حسنة له فهو في النار»^(٤).

(١) تحفة المريد للبيجوري ص ٢١٦.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا ج ١٧ ص ١٤٩، ١٥٠.

(٣) محاسن التأويل ج ١١ ص ٤١٢.

(٤) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة تأليف أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي. تحقيق

الحكمة من الوزن:

بعد أن ذكر القاسمي - رحمه الله - تعريف الميزان والآراء في الموزون ختم كلامه ببيان الحكمة من الوزن فذكر أن للوزن حكماً كثيرة منها:

- ١ - إظهار عدل الله - سبحانه وتعالى - وأنه لا يظلم عباده مثال ذرة.
- ٢ - امتحان الخلق بالإيمان بذلك في الدنيا وإقامة الحجة عليهم في العقبى.
- ٣ - تعريف العباد ما لهم وما عليهم من خير وشر وحسنة وسيئة.
- ٤ - إظهار علامة السعادة والشقاوة.
- ٥ - إظهار فضل المتقي تحسیناً لحاله وإشارة لخلوه من كل شيء وتزييناً لأمره على رؤوس الأشهاد^(١).

تعقيب:

ظهر لي من خلال هذا المبحث ما يلي:

- ١ - ثبوت الميزان بالكتاب والسنة وقد أثبتته القاسمي بهما، وأنه على حقيقته المعروفة.
- ٢ - موافقة القاسمي لجمهور الأشاعرة وأهل السنة في تعريف الميزان، ورده على من قال بأن معناه العدل.
- ٣ - أميل إلى ما مال إليه القاسمي من أن الموزون هو العامل وعمله وصحيفة عمله لأنه هو الظاهر من النصوص والأحاديث قد وردت بكل هذا ولا منافاة بينها ومما يدل على ذلك ما رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو في حديث صاحب البطاقة بلفظ قال: قال رسول الله ﷺ: «توضع الموازين يوم

د/ أحمد حجازي السقا، ج٢، ص٤ ط مطبعة الحلبي عمرو الحلبي. نشر مكتبة الكليات الأزهرية سنة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

(١) ينظر محاسن التأويل ج٧، ص٢٦١، التذكرة للقرطبي ج٢ ص١٢.

القيامه، فيؤتى بالرجل فيوضع في كفة ويوضع ما أحصى عليه فيمائل به الميزان، قال: فيبعث به إلى النار. قال: فإذا أدبر إذا صائح من عند الرحمن ﷻ يقول: لا تعجلوا فإنه قد بقي له، فيؤتى ببطاقة فيها لا إله إلا الله فتوضع مع الرجل في كفة حتى يميل به الميزان». قال صاحب معارج القبول: «فهذا الحديث يدل على أن العبد هو وحسناته وصحيفتها في كفة وسيئاته مع صحيفتها في الكفة الأخرى، وهذا غاية الجمع بين ما تفرق ذكره في سائر أحاديث الوزن»^(١) والله أعلم.

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول في علم الأصول، ج٢، ص١٧٦.

obeikandi.com

المبحث الثالث

رؤية الله تعالى في الآخرة

ويشتمل على:

١- رأي القاسمي في رؤية الله - تعالى - في الآخرة.

٢- آراء أشهر الفرق والمذاهب فيها.

٣- تعقيب.

obeikandi.com

رأى القاسمي في رؤية الله - تعالى - في الآخرة

رؤية الله - تعالى - من المسائل التي دار حولها النزاع قديماً بين الأشاعرة والمعتزلة. وقبل الوقوف على ما استند إليه كل منهما يحسن بنا أن نقف على رأى القاسمي فيها.

فالقاسمي - رحمه الله - يرى ثبوت رؤية الله - تعالى - في الآخرة وأنها حقّة، والمسلمون جميعاً ينظرون إلى ربهم - جل وعلا - ويرون جمال ذاته، ونور وجهه، وذلك من أعظم ما يمتنّ به الله - تعالى - عليهم في ذلك اليوم - واستدل القاسمي على ما ذهب إليه بأدلة من الكتاب الكريم والسنة النبوية.

أدلة القاسمي من الكتاب:

أ- قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] فعند تفسيره لهذه الآية يقول: «أي حسنة جميلة من النعيم» إلى ربها ناظرة أي مشاهدة إياه، ترى جمال ذاته العلية، ونور وجهه الكريم، كما وردت بذلك الأخبار والآثار عن رسول الله ﷺ^(١).

ب- قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّحَجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] فالقاسمي - رحمه الله - يبين أثناء تفسيره لهذه الآية بأن هؤلاء الكفار لا يرون الله - تعالى - ولا يرون شيئاً من كرامته، فهؤلاء محجوبون عن رؤيته وتخصيص هؤلاء الكفار بالحجب يقتضي أن غيرهم من المؤمنين يرونه تعالى يوم القيامة^(٢)، ثم نقل القاسمي كلاماً لابن القيم وختمه بقوله: «... وكما جمع الله سبحانه لأعدائه بين هذين العذابين وهما ألم الحجاب وألم العذاب، جمع لمحبيه بين نوعي النعيم نعيم

(١) محاسن التأويل للقاسمي ج١٦، ص٥٩٩٦.

(٢) محاسن التأويل ج١٧، ص٦٠٩٦ بتصرف.

القرب والنظر، ونعيم الأكل والشرب والنكاح والتمتع بما في الجنة»^(١).

ج- قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] فعند تفسيره لهذه الآية يقول: «للذين أحسنوا النظر، فعرفوا مكر الدنيا والشهوات، فأعرضوا عنها، وتوجهوا إلى الله تعالى، فعبدوه كأنهم يرونه، المثوبة الحسنَى، وهي الجنة، وزيادة على المثوبة، وهي التفضل كما قال تعالى: ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِّن فَضْلِهِ﴾ [النساء: ١٧٣]، وأعظم أنواعه النظر إلى وجهه تعالى الكريم. ولذا تواتر تفسيرها بالرؤية عن غير واحد من الصحابة والتابعين»^(٢).

د- قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] فعند تفسيره لهذه الآية يقول: «فمن يخاف المصير إليه، ويأمل لقاء ورؤيته»^(٣) إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي ذكرها

(١) محاسن التأويل ج١٧، ص٦٠٩٩ هذا وقد قال أبو بكر السمعاني: استدل مالك بن أنس، وابن عيينة، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وجماعة من أئمتنا بهذه الآية على أن المؤمنين يرون الله تعالى في الجنة، قال مالك بن أنس -رحمه الله-: «لو لم ير المؤمنون ربهم لم يعير الله الكفار بالحجاب» وعنه أيضًا «لما حجب الله أعداءه فلم يروه تجلى لأوليائه حتى رأوه» وقال الشافعي -رحمه الله-: «لما حجب قومًا بالسخط دل على أن قومًا يرونه بالرضا». قال الربيع: قلت للشافعي: وتدين بهذا يا سيدي؟ فقال: والله لو لم يوقن محمد ابن إدريس أنه يرى ربه في الآخرة ما عبده في الدنيا. وقال الإمام أحمد: «من لم يقل برؤية الله في الآخرة فهو جهمي»، وقال: وقد بلغه عن رجل أن الله لا يرى في الآخرة فغضب غضبًا شديدًا وقال: «من قال ذلك فهو كافر -أو فقد كفر- عليه لعنة الله وغضبه كائنًا من كان من الناس». ينظر في ذلك ضوء الساري إلى معرفة رؤية الباري تأليف عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة تحقيق د/ أحمد عبد الرحمن الشريف، ص٦٨-٦٩ مطبعة دار التأليف نشر دار الصحوة سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م، لوامع الأنوار ج٢، ص٢٤٦.

(٢) محاسن التأويل ج٩، ص٣٣٤١.

(٣) محاسن التأويل ج١١، ص٤١٢٣.

في تفسيره وقد اكتفينا بما سبق خشية الإطالة^(١).

أدلة القاسمي من السنة على ثبوت الرؤية:

ذكر القاسمي - رحمه الله - عدة أحاديث أثناء تفسيره للآيات السابق ذكرها نكتفي منها بحديثين.

الأول: ما ذكره عند تفسيره لآية الأنعام ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] قال: وأما من السنة «فما روي عن جرير بن عبد الله البجلي قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر قال: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا - يعني العصر والفجر» ثم قرأ جرير ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩]»^(٢).

الثاني: ما ذكره عند تفسيره لآية يونس ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] ما روي عن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ وقال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار. قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم ﷻ

(١) لمزيد من الأدلة للقاسمي ينظر محاسن التأويل ج٦ ص٢٤٤٧، وج٧ ص٢٨٥٠ - ٢٨٥٣.

(٢) محاسن التأويل ج٦ ص٢٤٤٧، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه فتح الباري كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ (٣٦) إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿ج١٣ ص٤٢٩، ومسلم بشرح النووي كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، ج٥ ص١٣٤٠. وفيه يقول النووي: «أي ترونه رؤية محققة لا شك فيها ولا مشقة كما ترون هذا القمر رؤية محققة بلا مشقة» ج٥ ص١٣٤٠.

ولا أقر لأعينهم^(١)» إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة التي استدلت بها القاسمي على ثبوت الرؤية ووقوعها في الآخرة ثم ذكر القاسمي - رحمه الله - أن أحاديث الرؤية وثبوتها قد تواترت بها الأخبار عن أبي سعيد وأبي هريرة، وأنس، وجابر، وصهيب وبلال، وغير واحد من الصحابة عن النبي ﷺ وأن المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة، وأن أدلة السمع طافحة بوقوع الرؤية في الآخرة لأهل الإيمان، وأن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - كانت تثبت الرؤية في الدار الآخرة^(٢). ولم يكتف القاسمي - رحمه الله - بذلك بل تعرض لمن قالوا بعدم وقوع الرؤية وردّ عليهم ردًا شافيًا^(٣). هذا بالنسبة لرؤية الله في الآخرة.

أما بالنسبة لرؤيته في الدنيا فيرى القاسمي - رحمه الله - بأن طلب رؤيته - تعالى - في الدنيا مستنكر وغير جائز، ولذلك لم يذكر - سبحانه وتعالى - سؤال الرؤية إلا استعظمه، وذلك في آيات منها قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٣]. وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥] ثم قال القاسمي: «دلت هذه التهويلات الفظيعة الواردة لطالبتها في الدنيا على امتناعها فيها. وكما أخبر - سبحانه وتعالى - بأنه لا يرى في الدنيا فقد وعد الوعد الصادق ﷺ برؤيته في الدار الآخرة في آيات عديدة، وتواترت الأحاديث الصحيحة بذلك وهي قطعية الدلالة»^(٤) هذا بالنسبة لخلق الله تعالى - عدا نبينا ﷺ - فقد ذكر

(١) محاسن التأويل ج ٩ ص ٣٣٤ والحديث في صحيح الإمام مسلم بشرح النووي كتاب الإيمان باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لربهم ج ٣ ص ١٧.

(٢) محاسن التأويل ج ٦ ص ٢٤٤ بتصرف.

(٣) ينظر محاسن التأويل ج ٦ ص ٢٤٤ إلى ص ٢٤٥، ج ٧ ص ٢٨٥٠ إلى ص ٢٨٥٣.

(٤) محاسن التأويل ج ٢ ص ١٣٠.

القاسمي اختلاف الصحابة في رؤيته ﷺ لربه في الدنيا - يقظة - فقال:

(١) ذهب عائشة رضي الله عنها وابن مسعود وأبو هريرة إلى القول بعدم ثبوت الرؤية وإنكارها في الدنيا لنبينا ﷺ ثم ذكر القاسمي الأحاديث الدالة على ذلك.

(٢) ذهب ابن عباس رضي الله عنهما إلى إطلاق الرؤية، وعنه أنه رآه بفؤاده. ثم رجح القاسمي - رحمه الله - وقوع الرؤية لنبينا ﷺ في الدنيا يقظة وذكر الأحاديث الدالة على ذلك، أما وقوعها منامًا فلا نزاع في وقوعها له ﷺ ولغيره من عباد الله الصالحين^(١).

(١) محاسن التأويل ج ٦ ص ٢٤٤٨-٢٤٤٩، ج ١٥ ص ٥٥٦٦-٥٥٦٨، وتحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ١٣٨، ص ١٣٩.

آراء أشهر الفرق في رؤية الله تعالى

المعتزلة:

ذهبت المعتزلة إلى أن رؤية الله -تعالى- ممنوعة وهي من الأشياء المحالة والتي يجب نفيها عنه -تعالى- واستدلوا على مذهبهم بأدلة سمعية، وعقلية، فمن الأدلة السمعية:

(أ) قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] وجه الدلالة في الآية كما يدعون أن الإدراك إذا قرن بالبصر لا يحتمل إلا الرؤية، والمولى ﷻ قد نفى عن نفسه إدراك البصر، وهذا النفي فيه تمدح راجع إلى ذاته -تعالى- وما كان من نفيه تمدحاً راجعاً إلى ذاته -تعالى- كان إثباته نقصاً، والنقائص في حقه -تعالى- مستحيلة وغير جائزة^(١).

(ب) قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] وجه الدلالة في الآية: أن كلمة «لن» في قوله «لن تراني» موضوعة للتأيد، والله تعالى قد نفى أن يكون مرئياً ألبتة، فدل ذلك على استحالة الرؤية^(٢). إلى غير ذلك من الأدلة القرآنية الكثيرة التي استدل بها القاضي عبد الجبار ووجهها على مذهبه في نفي الرؤية. وقد اكتفينا بها قدمنا خشية الإطالة ونحيل إلى غيره^(٣).

الأدلة العقلية للمعتزلة على مذهبهم في نفي الرؤية:

(أ) دليل المقابلة:

وتحريه «أن الواحد راء منّا بحاسة، والرائ بالحاسة لا يرى الشيء، إلا إذا

(١) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ٢٣٣ بتصرف.

(٢) شرح الأصول الخمسة ص ٢٦٤ بتصرف، والكشاف للزخشري ج ٢ ص ١١٣.

(٣) لمعرفة المزيد من أدلة المعتزلة يراجع شرح الأصول الخمسة من ص ٢٣٢ إلى ص ٢٧٧.

كان مقابلاً، أو حالاً في المقابل، أو في حكم المقابل، وقد ثبت أن الله -تعالى- لا يجوز أن يكون مقابلاً، ولا حالاً في المقابل، ولا في حكم المقابل»^(١) إذن يمتنع رؤيته -تعالى-.

(ب) إن الله -تعالى- لو جاز أن يرى في حال من الأحوال، لوجب أن نراه الآن، ومعلوم أننا لا نراه الآن إذن لا تصح رؤيته^(٢) إلى غير ذلك من الشبه السابقة.

ومما يجدر الإشارة إليه أن الإمام يحيى بن حمزة^(٣) - من كبار علماء الزيدية - قد نحا هذا النحو، واستدل بما استدل به المعتزلة على مدعاهم^(٤).
هذا وقد فند الإمام الرازي -رحمه الله- جميع شبه المعتزلة وغيرها الكثير التي استندوا إليها.

وبيّن الإمام الرازي ما في هذه الشبه من عدم فهمهم للنصوص وللغة العربية ونكتفي للتدليل على ذلك برده على شبهتين الأولى ردّ على قولهم بأن: «الإدراك بمعنى الرؤية» بوجوه نكتفي منها بوجه واحد وهو: عدم التسليم بهذا المعنى بل المراد بالإدراك هو الوصول. يقال: أدركت الثمرة إذا وصلت إلى حد

(١) شرح الأصول الخمسة ص ٢٤٨.

(٢) المرجع السابق ص ٢٥٣.

(٣) يحيى بن حمزة هو أحد رجال الزيدية واسمه يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم بن محمد ابن إدريس بن علي بن جعفر الحسيني العلوي الطالبي، من أئمة الزيدية وعلمائهم، ولد بمدينة صنعاء سنة ٦٦٩هـ، وأظهر الدعوة بعد وفاة المهدي محمد بن المطهر، وتلقب بالمؤيد بالله أو المؤيد برب العزة، واستمر إلى أن توفي في حصن هران عام ٧٤٩هـ. أما عن مؤلفاته فقليل إن عدد كراريس تصانيفه زادت على عدد أيام عمره.

(٤) المعالم الدينية في العقائد الإلهية للإمام يحيى بن حمزة تحقيق سيد مختار ص ٩-٨٢-٨٧، طبع دار الفكر بيروت لبنان ط ١، سنة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

النضج. ثم قال فالحاصل أن الإدراك رؤية مكيفة، ولا يلزم من نفي الرؤية المكيفة، نفي أصل الرؤية، فكما أنا نعرف الله - تعالى ولا نحيط به، فكذلك نراه ولا ندركه^(١).

الثانية: ردّ على الشبهة الثانية وهي أن كلمة «لن» في قوله تعالى: ﴿لَنْ تَرَنِى﴾ للتأييد بأنه غير مسلمٌ بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: ٩٥] مع أنهم يتمنونونه في الآخرة^(٢). وبمثل هذه الردود ردّ على باقي شبههم^(٣).

(١) الأربعين في أصول الدين للرازي ج١ ص٢٩٨ بتصرف.

(٢) الأربعين في أصول الدين ج١، ص٣٠٠ بتصرف هذا وقد ردّ الشيخ محمد محي الدين على ما ادّعه الزمخشري من أن «لن» لتأييد النفي فقال: «لا صحة على ما ادّعه، ولا دليل له فيما استدل به، فأما عدم صحة دعواه فيدل له ثلاث أمور؛ أولها أن «لن» لو كانت دالة على تأييد النفي في كل مثال ترد فيه لكان ذكر ظرف على وقت معين معها تناقضاً، وقد ذكر في القرآن لفظ اليوم معها في قوله تعالى: ﴿فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْشِيًا﴾ [مريم: ٢٦] إذ كيف ينتفي تكليمها إنشياً نفيّاً مستمراً لا إلى غاية ثم يقيد ذلك بقوله «اليوم» في أفصح كلام وأبعده عن التناقض والاختلاف».

الوجه الثاني: أن لن لو كانت تدل كلما ذكرت على تأييد النفي لكان ذكر لفظ «أبدًا» معها تكراراً لأن المفروض أنه مستفاد منها، وقد ورد ذكر «أبدًا» معها في القرآن واستدل بالآية في أعلى الصفحة، والقرآن مصون عن التكرار.

الوجه الثالث: أنها لو كانت دالة على تأييد النفي لم يصح أن يذكر معها ما يدل على انتهائه نحو قوله تعالى ﴿لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَكِيفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ [طه: ٩١] فبطلت دعواه ولم يسلم له استدلاله. ينظر كتاب عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك على هامش كتاب أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك تأليف محمد محيي الدين ج٤ ص١٤٩ نشر المكتبة العصرية صيدا - بيروت.

(٣) لتفنيد جميع شبه المعتزلة ينظر الأربعين في أصول الدين للرازي ج١ ص٢٩٨ إلى ص٣٤٠، محصل أفكار المتقدمين للرازي ص١٩٢، ١٩٣، وضوء الساري إلى معرفة

الأشاعرة:

عندما تعرض القاسمي لرأي الأشاعرة قال ذهب الأشاعرة إلى أن الله -تعالى- يرى بالأبصار في الآخرة واستدلوا على ذلك بأدلة نقلية وأخرى عقلية. فمن الأدلة النقلية التي استدلوا بها:

أ- قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنَّ اسْتَقَرَّ مَكَانُهُ فَسَوْفَ تَرَنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]. ووجه الدلالة فيها من وجوه:-

الأول:

أن سؤال موسى عليه السلام لرؤية الله -تعالى- يدل على إمكانها لأن العاقل فضلاً عن النبي ﷺ لا يطلب المحال. ولا مجال للقول بجهل موسى عليه السلام بالاستحالة، لأن الجاهل بما لا يجوز على الله -تعالى- لا يصلح أن يكون نبياً لأن الغرض من النبوة هداية الخلق إلى العقائد الحقة، ولا ريب في نبوة موسى وأنه من أولي العزم. وقد اصطفاه الله لرسالته، واجتباها لنبوته، وخصصه، بتكريمه، وشرفه بتكليمه، وجعله أفضل أهل زمانه، وأيده ببرهانه.

الثاني:

أن المولى -سبحانه وتعالى- علق الرؤية على أمر ممكن في نفسه وهو -استقرار الجبل- والمعلق على الممكن ممكن؛ لأن معنى التعليق الإخبار بوقوع المعلق -الرؤية- عند وقوع المعلق به -استقرار الجبل- والمحال لا يثبت على شيء من التقادير الممكنة^(١).

رؤية الباري من ص ١٠٣ إلى ١٥٤ وسيجد القارئ في هذا الكتاب إجابات شافية لجميع الشبه بأدلة من الكتاب والسنة، رد الإمام الدارمي على المريسي العنيد ضمن مجموعة عقائد السلف ص ٤١٣، ٤١٧، أصول الدين للبغدادى من ص ٩٨-١٠٢.

(١) محاسن التأويل ج ٧ ص ٢٨٥ بتصرف، وشرح الموقف الخامس ص ١٨٨، ١٨٩ والله

الثالث:

أن الله - تعالى - تجل للجبل بالفعل وهو جماد، فلا مانع إذن أن يتجلى لأهل محبته وأصفياه^(١). وهناك وجوه أخرى كثيرة لإثبات الرؤية تتعلق بهذه الآية ذكرها صاحب شرح العقيدة الطحاوية^(٢).

ب- قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] ووجه الدلالة في الآية: أن الفعل «نظر» له عدة استعمالات بحسب تعديده بنفسه أو بحرف الجر.

أ- إن عُدي بنفسه كان بمعنى التوقف والانتظار ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿أَنظُرُونَا نَقْتِسِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣]^(٣) وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَتُّوْلَاءٍ إِلَّا

والعالم والإنسان في الفكر الإسلامي تأليف د/ محمد جلال شرف ص ٣٦٧، ط دار المعارف بمصر سنة ١٩٧١ م. هذا وقد اعترض المعتزلة على هذا الدليل وغيره من أدلة الأشاعرة وقالوا: بأن الرؤية في الآية بمعنى العلم، أو أن موسى سأل الرؤية بسبب قومه لا لنفسه لأنه كان عالمًا بامتناعها أو أنه سألها لنفسه وإن علم استحالتها بالعقل ليتأكد دليل العقل بدليل السمع، أو أن موسى قد لا يعلم امتناع الرؤية، ولا يغير ذلك في نبوته. وقد رد عليهم العضد والجرجاني في كل ما سبق.

* ينظر ذلك في شرح المواقف الموقف الخامس ص ١٨٩-١٩٧.

(١) شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية تأليف محمد خليل هراس مراجعة عبد الرزاق عفيفي ص ٧٢ ط الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ط ٤ نشر دار الاعتصام.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ج ١، ص ٢١٢-٢١٤.

(٣) النظر الوارد بمعنى الانتظار كثير في القرآن الكريم ولكنه لم يقرن ألبته بحرف إلى. فالنظر المقرون بحرف إلى المعدى إلى الوجه ليس إلا بمعنى الرؤية.

* ينظر كتاب استحالة المعية بالذات وما يضاهيها من متشابه الصفات تأليف الإمام المحدث محمد الخضر الشنقيطي ص ٣٤٦. طبع دار البشير للنشر والتوزيع عمان ط ١ سنة ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.

صِيْحَةً وَاحِدَةً» [ص: ١٥] ففي الآية الأولى بمعنى انتظرونا وتوقفوا لنا. وفي الثانية أيضاً بمعنى ينتظروا.

ب- أن عدى بـ(في) كان بمعنى التفكير والاعتبار ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥] فالمعنى في الآية أولم يفكروا ويعتبروا بخلق السماوات والأرض.

ج- إن عدى بـ(اللام) كان بمعنى الرأفة والعطف والرحمة مثل قولهم «نظر الأمير لفلان» أي عطف عليه.

د- إن عدى بـ(إلى) كان بمعنى الرؤية والمعاينة بالإبصار. ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] فمن هنا قال الأشاعرة بوجوب حمل النظر في الآية على الرؤية ووقوعها يوم القيامة^(١) إلى غير ذلك من الأدلة السمعية التي استدل بها الأشاعرة على مذهبهم^(٢).

وفي أثناء استدلال السيهقي -رحمه الله- بهذه الآية على ثبوت الرؤية ذكر هذه الاستعمالات للفظ «نظر» ثم قال: والثلاثة الأول غير مراده -تعالى-. أما الأول: فإن الآخرة ليست بدار استدلال.

وأما الثاني: فلأن في الانتظار تنغيصاً وتكديراً. والآية خرجت مخرج الامتنان والبشارة. وأهل الجنة لا ينتظرون شيئاً لأنه مهمل خطر لهم أتوا به.

(١) شرح المواقف -الموقف الخامس- ص ٢١١، ٢١٢.

(٢) الأربعين في أصول الدين ص ٢٩٢-٢٩٥ وقد اعترض المعتزلة على هذا الدليل وغيره ووجهوه الآيات بما يتفق مع مذهبهم. ينظر المغني في أبواب التوحيد والعدل ج ٤، ص ١٩٧-٢١٧، المحيط بالتكليف للقاضي عبد الجبار تحقيق عمر السيد عزمي ص ٢١٢، ٢١٣، طبع المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، وشرح الأصول الخمسة ص ٢٤٢-٢٤٨. وقد رد الأشاعرة على أدلة المعتزلة وفندوها ينظر في ذلك الأربعين في أصول الدين ج ١، ص ٢٨٣-٢٩٢، وشرح المواقف الموقف الخامس ص ٢١٢-٢١٧.

وأما الثالث: فلا يجوز لأن المخلوق لا يتعطف على خالقه. فلم يبق إلا نظر الرؤية. وانضم إلى ذلك أن النظر إذا كان مع الوجه، انصرف إلى نظر العينين اللتين في الوجه، ولأنه هو الذي يتعدى بإلى^(١).

ومن الأدلة العقلية التي استدل بها الأشاعرة:

أنه تعالى لو لم يكن مرئياً لما جاز أن يكون معلوماً، لكن التالي باطل، فما أدى إليه من عدم جواز رؤيته باطل، فثبت نقيضه وهو أنه تجوز رؤيته. دليل الملازمة. أنه تعالى موجود وذات، ويخالف سائر الموجودات في استحالة كونه حادثاً، أو موصوفاً بما يدل على الحدوث، أو موصوفاً بصفة تناقض صفات الألوهية^(٢) وكل موجود يصح أن يرى، فالله ﷻ تصح رؤيته.

هذا بالإضافة إلى ما ذكره الغزالي^(٣).

والعضد^(٤) - رحمه الله - وقد اكتفينا بذلك خشية الإطالة^(٥).

(١) استحالة المعية بالذات ص ٣٤٦ بتصرف يسير.

(٢) نظرات في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد تأليف د/ إبراهيم عبد الشافي ص ٢١٢، ٢١٣، ط سنة ١٩٩٢، وتحفة المريد ص ١٣٣.

(٣) الغزالي: سبق ترجمته ص ٩٣.

(٤) العضد: هو الإمام القدوة قاضي القضاة عضد الدين عبد الرحمن أحمد الإيجي. ولد سنة ٧٠٨ هـ قاضي قضاة المشرق وشيخ العلماء والشافعية بتلك البلاد. قال الإسنوي: كان إماماً في علوم متعددة محققاً مدققاً ذا تصانيف مشهورة منها: شرح مختصر الحاجب، المواقف، والجواهر... وغيرها كثير. توفي سنة ٧٥٦ مسجوناً * ينظر شذرات الذهب ج ٦ ص ١٧٤، الأنساب ج ١ ص ٣٩٧.

(٥) الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي ص ٦١-٦٥، شرح المواقف الموقف الخامس ص ١٩٧-

تعقيب:

ظهر لي من خلال عرض موضوع الرؤية ما يلي:

أ- ثبوت الرؤية للمؤمنين في الآخرة بدلالة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأئمة الإسلام وأهل الحديث وهذا هو قول الأشاعرة وبه أخذ القاسمي رحمه الله وقال: بأنه ليس في القرآن إشارة إلى امتناع رؤية الله تعالى^(١).

ب- أن الرؤية الممنوعة في قوله: ﴿لَنْ تَرَنِى﴾ وفي حديث عائشة^(٢) هي الرؤية الدنيوية، والله - سبحانه وتعالى - قال لموسى ذلك لأن الجبل مع شدته وصلابته إذا لم يستقر فالأدmi مع ضعف بنيته أولى بأن لا يستقر^(٣).

ج- الخلاف بين الأشاعرة والمعتزلة في ثبوت الرؤية وعدمها لا يوجب الحكم على أي فريق منهم بالسب أو الشتم أو الكفر. ذلك أنني عند قراءتي لتفسير الزمخشري وجدته قد هجا الأشاعرة ومن سلك مسلكهم في إثبات الرؤية بألفاظ جانبه الصواب فيها وهي قوله:

لجماعة سموا هواهم سنة
قد شبهوه بخلقه وتخوفوا
وجماعة حمر لعمرى موكفة^(٤)
شنع الورى ففستروا بالكلفة^(٥)

(١) محاسن التأويل ج٧ ص ٢٨٥١ بتصرف.

(٢) أخرجه البخاري في فتح الباري كتاب التفسير ٥٣ سورة النجم ص ٤٧٢. وقد قال ابن كثير في أثناء حديثه عن هذا الحديث لا تدركه في الدنيا وإن كانت تراه في الآخرة كما تواترت به الأخبار عن رسول الله ﷺ مختصر تفسير ابن كثير تحقيق محمد علي الصابوني ج٦ ص ٦٠٤ نشر دار الصابوني.

(٣) محاسن التأويل ج٧ ص ٢٨٥١ بتصرف يسير.

(٤) موكفة من الإكاف: وهو البرذغة. والكلفة قولك بلا كيف.

(٥) ينظر في ذلك تنزيل الآيات على الشواهد من الآيات شرح شواهد الكشاف تأليف الأستاذ محب الدين أفندي في آخر كتاب الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل للزمخشري ومعه كتاب الأنصاف ج٤ ص ٤٥٦ ط دار المعارف بيروت.

وفي موطن آخر يصرح بخروجهم عن الإسلام بسبب قولهم بجواز رؤية الله - تعالى -^(١) وفي المقابل لذلك وجدت أيضًا صاحب الإنصاف ذكر أبيات ظاهرها أن المعتزلة في النار وهي:

وجماعة كفروا برؤية ربهم حقًا ووعد الله ما لن يخلفه
وتليفبوا عدلية. قلنا: أجل عدلوا بربهم فحسبهموا سفه
وتلقبوا الناجين. كلا إنهم إن لم يكونوا في لظى فعلى شفه^(٢)

أقول: مثل هذه الأشياء كنت أود أن لا تحدث بين أهل العلم، لأن الحكم بدخول النار وغيره مقطوع لله - سبحانه وتعالى - وفي ذلك يقول القاضي عياض: نقلًا عن القاضي أبي بكلا الباقلاني: «وأما مسائل الوعد والوعيد والرؤية. فالمنع في إكفار المتأولين فيها أوضح، إذ ليس في الجهل بشيء منها جهل بالله تعالى، ولا أجمع المسلمون على إكفار من جهل شيئًا منها»^(٣) ورحم الله الشوكاني إذ يقول في وصف أصحاب رسول الله ﷺ:

وما قالوا بتكفير لقوم لهم بدع على الإسلام سود^(٤)

(١) المرجع السابق ج١ ص٤١٨.

(٢) الإنصاف فيما تضمنه الكشف من الاعتزال لابن المنير ج٢ ص١١٦ إلى غير ذلك من الأبيات التي فيها هجاء للمعتزلة فقد ذكرها القاسمي في تفسيره ج٧ ص٢٨٥٣.

(٣) الشفا للقاضي عياض ج٢ ص١٠٨٦، ١٠٨٧.

(٤) مقدمة قطر الولي على حديث الولي للإمام الشوكاني أو ولاية الله والطريق إليها تحقيق وتقديم د/ إبراهيم إبراهيم هلال، ص٣٩ مطبعة حسان القاهرة نشر دار الكتب الحديثة سنة ١٩٧٩ م.

الخاتمة

وبعد هذه المعاشة العلمية مع شخصية الإمام القاسمي علامة الشام نخلص إلى جملة من النتائج نجملها في الآتي:

أ- بالنسبة لعصر القاسمي:

١- الحالة السياسية في الدولة العثمانية - خلال عصر القاسمي - كانت سيئة لدرجة كبيرة، إذ تكالبت عليها المكائد من كل اتجاه سواء من العالم الغربي أو من ولائهم أنفسهم مما دفع القاسمي لأخذ موقف من هؤلاء الولاة.

٢- الحالة الاجتماعية كانت شبيهة بالحالة السياسية بل زادت عليها بسبب كثرة المصائب السماوية، وحدوث الطواغين المتكررة وانتشارها بالعدوى، وكل ذلك أثر في دمشق وأدى إلى فناء خلق كثير.

٣- الحالة الاقتصادية ساءت أيضًا إلى أبعد الحدود بسبب نظام الالتزام الذي جعل الناس طبقتين، طبقة تعيش في بذخ وإسراف، وطبقة تكاد لا تجد إلا الكفاف.

٤- الحالة العلمية كانت مفقودة بسبب عدم وجود المدارس والمعاهد والجامعات مما أدى إلى انتشار الأمية، وجعل اللغة التركية هي لغة الدولة الرسمية.

ب- أما سيرته الذاتية فقد تبين فيها الآتي:

١- ينتمي القاسمي إلى بيت عرف بالورع والتقوى والعلم فقد كان جده ووالده من علماء عصرهم.

٢- اتصاف القاسمي بالصفات الحسنة الحميدة مما جعل علماء عصره يشنون عليه وعلى علمه وأمانته.

٣- ظهر لي أن القاسمي كان شافعي المذهب ملتزمًا بأراء مذهبه ومنتصرًا له.

٤- كان القاسمي حسن الأدب، فلم يتناول أحدًا من خصومه بالتجريح،

بل كان همه معهم الإلزام بالحجة، وكان يلتمس لصاحب المذهب المخالف العذر.

أما الباب الأول الخاص بالحديث عن الإلهيات عند القاسمي فقد تبين فيه الآتي:

١- طريقة المتكلمين في الاستدلال على وجود الله بها كثير من الغموض، بخلاف طريقة القاسمي التي استقاها من كلام المتقدمين عليه وساقها في صورة معاصرة ملائمة لأهل عصره.

٢- كثرة نقل القاسمي عن غيره لا يعد عيباً فيه، إذ كان يجمع نواتجه من مواضع شتى، ويصيغها بأسلوب ميسر مع عزو كل قول لصاحبه.

٣- اعتمد القاسمي في عرضه للأدلة على وجود الله تعالى على أدلة وبراهين كثيرة، سار فيها مخاطباً جميع الناس على اختلاف أحوالهم، فذكر أدلة عقلية، وأدلة حسية، وهو في ذلك متبع لأسلوب القرآن الكريم.

٤- عرضت لآراء الفرق في مسألة الصفات، ورددت عليها - بكلام العلماء.

٥- كان القاسمي في مسألة الصفات -عموماً- منتصراً لمذهب السلف، وكان يرى أنه أعدل المذاهب، وساق أدلة كثيرة على ذلك.

٦- كان القاسمي يعتمد في سوقه لأدلته على ما صح من حديث رسول الله ﷺ تاركاً الضعيف منها.

٧- كان القاسمي يلتمس لصاحب المذاهب المخالفة العذر فيما ذهبوا إليه. أما بالنسبة لما يتعلق بفصل النبوات فقد تبين لي ما يلي:

١- مخالفة القاسمي للفلاسفة والمعتزلة الذين رأوا أن إرسال الرسل ملزم على الله، وقال: بأن إرسال الرسل فضل ومنة من الله على عباده.

٢- شدة حرص القاسمي على إثبات العصمة للأنبياء، ونفي كل الشبهات

التي عنت لبعض المخالفين، ولذلك رأينا ردوده عليهم اتسمت بالشدة في الحق، وفند مزاعمهم وأباطيلهم.

٣- القاسمي - رحمه الله - لم يأخذ كلام غيره من العلماء مأخذ المسلمات، بل كان يضع كل رأي يقع تحت عينه أمام عقله، ويقف منه موقف المؤيد إذا وافق الكتاب والسنة، أو موقف المعارض له أشد المعارضة إذا لم يوافق الكتاب والسنة.

٤- كثرة اطلاعات القاسمي على كتب الأنجيل مما جعل أدلته التي استخدمها في إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ قوية ومقبولة.

٥- ركز القاسمي في إثبات النبوة على نبوة سيدنا محمد ﷺ إذ رأى أن في إثباتها إثبات ملزم لنبوة جميع الأنبياء.

أما بالنسبة لما يتعلق بفصل السمعيات فقد تبين لي ما يلي:

١- موافقة القاسمي لجمهور الأشاعرة وأهل الحديث في أدلتهم على إثبات السمعيات.

٢- معرفة الإنسان بوجود الملائكة وإحصائهم لكل ما يفعله، من أعظم الأسباب التي تحفزه على عمل الطاعات وتبعده عن المعاصي.

٣- كان القاسمي يرى أن: الموزون هو العامل وعمله وصحيفة عمله، ويرى بأنه هو الظاهر من النصوص، والأحاديث قد وردت بكل هذا ولا منافاة بينهما.

٤- أثبت القاسمي رؤية الله تعالى في الآخرة مستنداً في ذلك إلى الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، وهو بذلك موافق لرأي السادة الأشاعرة.

٥- كان القاسمي شديد التحري في نقل آراء كلا من المعتزلة والأشاعرة، ولم يتعرض لمخالفهم بالسب والتجريح.